الفصل الثالث

فساد عصر وفساد شخص

من المستحيل أن يكون فساد رجل واحد فى دولة من الدول سببا فى انهيار هذه الدولة حتى ولو كان هذا الرجل هو راسبوتين .

كان العصر الذى عاش فيه راسبوتين فى دولة روسيا كله عصرا فاسدا . كانت سلطات القيصر الروسى سلطات دكتاتورية استبدادية مطلقة ، وكانت مصادر الثروة فى روسيا وفقا للنظام الرأسمالى الإقطاعى يستحوذ عليها عدد قليل من كبار الملاك من النبلاء والأمراء وكبار ضباط الجيش والشرطة ، دون أى تراحم أو تلاحم أو رفق بالفقراء الذين لايمتلكون شيئا ، إلا الكد والكدح والعمل الشاق فى مزارع ومصانع ومتاجر الأغنياء فى نظام أقرب ما يكون إلى نظام السخرة والاستعباد . كان الأغنياء الروس يملكون كل شىء ، وكان الفقراء الروس لايملكون أى شىء . أراضى القرية كلها ملك لأمير أو نبيل أو أى شخص من الطبقة الأرستقراطية ، وسكان القرية ، الفلاحون ، لايملكون سهما ولا قيراطا ولا فدانا فى الأراضى الزراعية بالقرية كلها ، وليس أمامهم إلا العمل الشاق فى زراعة أراضى المالك الأرستقراطى النبيل ، والسوط فى انتظار من يبدى أى تصرف أو سلوك ينم عن التمرد أو التقاعس عن العمل أو تحدى سلطات وامتيازات المالك الأرستقراطى النبيل . ويستمتع الملاك الأرستقراطيون النبلاء بكل شىء وبكل مباهج وملذات الحياة ، ويمتلكون القلعة الموجودة بالقرية ويحظون بود قساوسة كنيسة القرية ، ويمتلكون القصور والمساكن الفاخرة فى المدينة أو فى العاصمة ذاتها ، ويستمتعون بالصيد عندما يصلون إلى القرية ، ويسافرون فى رحلات سياحية إلى الأقطار الأوربية المتقدمة مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا . بينما يعانى الفقراء الجوع والشقاء .

وعندما يتم تأسيس وبناء مصنع ، فمن الذى يستطيع أن يؤسس أو يبنى مصنعا ؟ إنه أحد كبار ملاك الأراضى ، ولم تكن معيشة عمال المصنع الروس بأفضل من معيشة الفلاحين الروس .

ومن الذى يستطيع أن يلحق أبناءه بالمدارس ليتلقوا التعليم ؟ إنهم الأغنياء ملاك الأراضى أو المصانع أو المتاجر .

ومن الذى يستطيع أن يلحق أبناءه بمعاهد تخريج الضباط فى الجيش والبوليس ؟ إنهم الأغنياء ملاك الأراضى أو المصانع أو المتاجر .

ومن الذى يتولى الوظائف الحكومية القيادية فى الدولة عسكرية ومدنية ؟ إنهم أبناء الأغنياء ملاك الأراضى أو المصانع أو المتاجر .

ومن الذى يتربع على عرش روسيا فى موسكو أو بطرسبرج ؟ إنه القيصر الروسى الطاغية المستبد الذى لايقبل فى قراراته نقاشا أو جدلا أو مشورة ، ويعتمد كل الاعتماد على كبار ملاك الأراضى والمصانع والمتاجر إذ يختار من بينهم وزراءه وكبار قادة جيشه ، وكل ضباط جيشه وكبار موظفى دولته ، وكل قرار يصدره إنما هو لمصلحة كبار الملاك دون أى عدل أو إنصاف لجماهير الفقراء وهم غالبية الشعب الروسى .

حكم القيصر الروسى ألكساندر الثانى روسيا من عام ١٨٥٥ حتى عام ١٨٨١ بعد هزيمة روسيا فى معركة سيبا ستبول وفى معارك أخرى فى حرب القرم وضد اليابان أيضا مما كان له تأثير كبير على الاقتصاد الروسى مما ضاعف من معاناة الشعب ودفعه إلى الثورة ، ولكن القيصر ألكساندر الثانى استطاع أن يقضى على بوادر ثورة الشعب الروسى ، وأجرى بعض التحسينات على الأحوال المعيشية للشعب ، وأرغم كبار الملاك على التنازل للفلاحين عن جزء من أملاكهم كمقابل لأتعابهم ، فبدأ ظهور الملكيات الضئيلة المساحة للفلاحين فى أراضى القرى الروسية ، كما عمل على نشر التعليم وعدم قصره على أبناء الأغنياء ، وأصلح شئون القضاء بحيث لايتحيز دائما لمصالح الأغنياء . ولكن

القيصر ألكساندر الثانى لم يتنازل عن أى جزء من سلطاته الاستبدادية وكان يعتبر أن إصلاحاته هى منحة من السيد إلى العبيد مما جعل بذور الثورة لدى الشعب الروسى صالحة للنمو ، واستمر الشعب الروسى يطالب بالمزيد من الحرية والكرامة والإصلاح ، وبدأ ظهور المنشورات التى تحرض الشعب على الثورة ضد نظام الحكم بمجمله وضد الأغنياء والطبقة الأرستقراطية الحاكمة . وثار شعب بولندا فى عام ١٨٦٣ ثورة عارمة ضد الحكم الروسى ، وامتدت الثورة من بولندا إلى داخل روسيا أيضا ، ووصل سخط الشعب الروسى على نظام الحكم إلى حد محاولة اغتيال القيصر ألكساندر الثانى نفسه . ومع فشل هذه المحاولة اعتبر القيصر أن الإصلاحات التى قام بها والتنازلات التى قدمها للشعب هى التى أدت إلى ثورة الشعب ، فازدادت حكومته بطشا وتنكيلا بالأشخاص الذين تشم سلطات الشرطة الروسية أى رائحة للثورة داخل ملابسهم فكان مصيرهم القتل أو النفى إلى سيبيريا الشديدة البرودة .

وأدت خطوط السكة الحديدية ، وظهور المطابع وشيوع استخدامها إلى تنشيط الأفكار الثورية وسرعة انتشارها ، وكان الشعب الروسى مهيأ تماما لمزيد من الثورة ، واستمرت الأعمال الثورية فى ازدياد وتصاعد مما أفضى إلى محاولة ثانية لاغتيال القيصر ألكساندر الثانى سنة ١٨٨١م ، ونجحت المحاولة وتم اغتياله فى هذه المرة .

وارتقى عرش روسيا ابنه الكساندر الثالث واستمر حكمه من ١٨٨١ حتى عام ١٨٩٤ وقد تأثر بالأفكار الأرستقراطية التى كانت تقول : إن إصلاحات وتنازلات ألكساندر الثانى هى التى أفضت إلى ثورة الشعب الروسى وأدت إلى اغتياله مما جعل من خليفته ، ابنه ، ألكساندر الثالث أكثر ميلا إلى الطغيان والاستبداد فأطلق عنان السلطة لوزرائه فى قهر الشعب الروسى والقبض على كل المشتبه فيهم ونفيهم إلى سجون سيبيريا .

وبعد وفاة ألكساندر الثالث خلفه ابنه نيقولا الثانى فى عام ١٨٩٤م واشتد ساعد الثورة إذ انضم العمال فى المصانع إلى الفلاحين فى المزارع ، وعم السخط معظم قلوب كل الشعب الروسى .

وكان الشيوعيون يحاولون الوصول إلى السلطة فى بريطانيا وألمانيا ، ولكنهم فشلوا فى ذلك كل الفشل ، فامتدت أنظار الشيوعيين إلى روسيا باعتبار أن الشعب الروسى هو أكثر الشعوب جنوحا إلى الثورة ، ونتيجة للمنشورات الشيوعية التى كان يتم تسريبها إلى روسيا ، وظهرت ملامح حزب شيوعى اتخذ لنفسه اسم حزب العمال الاشتراكى . لم يكن حزبا رسميا ولكنه كان يعتمد على العمل السرى المنظم تحت قيادة تعلمت الكثير من أساليب العمل السرى والاتصال بالعمال داخل المصانع بعيدا عن أعين رجال الشرطة ، وتصارعت أساليب العمل الثورى السرى مع أساليب رجال الشرطة الروسية فى البطش والقمع .

وقاد أحد القساوسة فى يوم ٩يناير سنة ١٩٠٥ إحدى المظاهرات المتجهة إلى قصر القيصر للمطالبة بالإصلاح فقابلها الحرس القيصرى بالرصاص وهجم فرسان الحرس القيصرى على المتظاهرين وهم فوق صهوة خيولهم وأعملوا فى المتظاهرين العزل من السلاح سيوفهم وسالت دماء غزيرة .

وفى تلك الأثناء كان الجدل محتدما بين جناحين فى الحزب الشيوعى الروسى الذى كان يمارس نشاطه على نطاق واسع بالطرق والأساليب الثورية السرية . كان جناح المنشفيك يميل إلى المطالبة بالإصلاح بالوسائل السلمية ، وكان جناح البلاشفة ينادى بضرورة الكفاح المسلح ضد الطغيان والفساد المستشرى فى الدولة الروسية . وأثبت القمع المسلح للمظاهرة السلمية أن كفة «البلاشفة» هى الأرجح ، وكان «لينين» قد وصل بالفعل إلى روسيا لقيادة البلاشفة فى حربهم ضد النظام القيصرى الفاسد الذى كان يواجه الهزائم فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤– ١٩١٧ فى جهات القتال أيضا .

وإذا عرفنا أن جريجورى أفيمى راسبوتين قد ولد فى يوم ١٠ يناير سنة ١٨٦٩ واغتيل فى آخر ديسمبر سنة ١٩١٦ لعرفنا أن راسبوتين كان معاصراً لزلزال الحرب العالمية الأولى ، وكان معاصرا لفوران الثورة البلشفية التى أطاحت بالقيصر نيقولا والقيصرة ألكساندرا وابنهما ولى العهد أليكسى فى مارس عام ١٩١٧ بعد أقل من عام من اغتيال راسبوتين ، ولعرفنا أن راسبوتين كان رجلا فاسقا فاسدا فى مجتمع روسى فاسق فاسد . ولكن فساد حياة راسبوتين كانت معلما واضحا ودليلا حاسما على مدى الفساد الذى كان يكمن فى المجتمع الروسى قبل الثورة البلشفية .

كيف ولماذا يعتبر راسبوتين معلما بارزا من معالم فساد المجتمع الروسى قبل الثورة البلشفية ؟

تركنا فى الفصل السابق الفلاح الروسى الشاب جريجورى أفيمى راسبوتين يتنقل من قرية إلى قرية فى الريف الروسى إذ لم يكن يمتلك أرضا زراعية ولابيتا ولا أى عقار ، بل كانت كل بضاعته هى أساليب الدجل والاحتيال والتظاهر بمظهر رجل الدين التقى الورع المملوء بالبركة وروح القدس الذى يشفى الأمراض المستعصية على الأطباء ولايتقاضى إلا كرم الضيافة ، وما يتصدق به أهل الخير عليه تقديرا لبركته التى تفوق بركة القساوسة المحترفين، وتقدير لمواعظه التى برع فى صياغتها صياغة سهلة سلسة تنفذ إلى أسماع وعقول وقلوب البسطاء من الفلاحين على نحو يعجز عنه القساوسة المحترفون .

وبمرور الأعوام أخذ راسبوتين وقد اتسع نطاق شهرته يتنقل بين المدن وقد زادت خبراته فى التظاهر بمظاهر التدين والورع والتقوى ، يرتدى ملابس مثل ملابس القساوسة ويحمل على صدره فوق ملابسه صليبا ضخما مما يضعه القساوسة فوق صدورهم ، وكل الفرق فى مظهره عن مظهر القساوسة المحترفين هو أنه لايضع لباس الرأس الذى يرتديه القساوسة فوق رؤوسهم فوق رأسه ،

ولكن شعره الأسود الطويل المرجل المفروق من منتصفه له من السحر والمهابة ما يفوق مهابة لباس رأس القساوسة المحترفين .

وألقى راسبوتين عصا الترحال فى مدينة بطرسبرج حيث يقيم القيصر نيقولا الثانى وزوجته الإمبراطورة ألكساندرا ، وكان ابنها الوحيد ، ولىُّ العهد أليكسى مصابا بمرض الهيموفيليا وهو مرض يفضى إلى عدم تخثر الدم مع ظهور ورم تحت الجلد . وكان الطب الروسى يقف عاجزا تماما العجز إزاء علاج هذا المرض مما كان يجعل ولى العهد الأمير أليكسى مهددا بالموت المحقق فى طفولته مما كان يزعج والده القيصر وأمه الإمبراطورة .

كان راسبوتين قد أدرك بخبرته أنه يستطيع النجاح فى المجتمع ويكسب عيشه على أفضل نحو لو تسلل إلى نساء الطبقة الأرستقراطية فى مدينة سان بطرسبرج حيث تعيش طبقة النبلاء والأمراء وكبار الأثرياء فى الدولة .

ولقد حدث بالفعل فى ليلة من ليالى شهر يوليو ١٩٠٧ أن أصيب الأمير أليكسى ولى العهد بجرح أثناء اللعب ونزف من الجرح دم لايتوقف تحت أى ضمادات توضع عليه ، وعجز الأطباء عن إيقاف الدم . وانزعج القيصر وزوجته كل الانزعاج .

وحضرت كل من الدوقة ميليتسا والدوقة أناستاسيا لزيارة الإمبراطورة فوجدتاها مهمومة من جراء ما حدث ، واندفعت الدوقة ميليتسا تساندها الدوقة أناستاسيا تطريان قدرات رجل دين ورع اسمه راسبوتين يستطيع أن يشفى المرضى من الأمراض المستعصية التى يعجز الأطباء المحترفون عن علاجها ؛ لأنه رجل مبارك مملوء بالروح القدس .

وتم استدعاء راسبوتين إلى قصر القيصر عند منتصف الليل ، ودخل الرجل الفارع الطول ، صاحب العينين البراقتين ، يحمل صليبا يتدلى من سلسلة طويلة فوق صدره إلى غرفة ولى العهد وركع على ركبتيه إلى جوار فراشه ،

ولاريب أن قد أوصى بإعداد مشروب لبعض الأعشاب الطبية وجعل الأمير أليكسى يشرب منه وهو يقول له بصوت هادىء ، عميق: «لا تخف يا أليكسى سيكون كل شيء على ما يرام بعد قليل» . وأخذ يقص على الأمير بعض القصص الشعبية المألوفة فى الريف الروسى ، ونام الأمير أليكسى ، وتوقف نزيف الدم ، وتدفق العجب والدهشة إلى قلب الإمبراطورة ألكساندرا وإلى قلب القيصر نيقولا أيضا . وأصبح وجود راسبوتين فى البلاط القيصرى له لزوم بقاء الأمير أليكسى ولى العهد الروسى على قيد الحياة . وأصبح راسبوتين من رجال البلاط ، يحظى باحترام وود وإعجاب كل من الإمبرطورة والقيصر .

وكان من الطبيعى أن تنهال العطايا والأموال على راسبوتين من الإمبراطورة ومن سيدات المجتمع الأرستقراطى فى سان بطرسبرج ، وطلبت منه الإمبراطورة صراحة وعلنا ألا يبرح سان بطرسبرج إلى أى جهة أخرى . واتخذ راسبوتين لنفسه مسكنا فاخرا فى سان بطرسبرج واستمتع بكل ما يمكن للثراء الفاحش أن يحققه من أسباب الملذات والمتع لرجل كان محروما من كل الملذات والمتع، كما استمتع أيضا بالنفوذ الواسع القوى على الإمبراطور من خلال اتصال راسبوتين بالإمبراطورة وتأثيره القوى عليها . ولم يلبث المجتمع الأرستقراطى أن لمس هذا التأثير وهذا النفوذ المتاح لراسبوتين ، فكان طلاب الحاجات وطلاب الوظائف العليا والمناصب المهمة فى الدولة يقصدونه بواسطة نسائهم بوجه خاص لقضاء الحاجات التى كان راسبوتين ينجح فى تحقيقها فى غالب الأحيان ليحصل على مقابل سخى باهظ التكاليف فى معظم الأحيان .

وبمرور الوقت أصبح لراسبوتين أنصار أقوياء وأصبح لراسبوتين أعداء أقوياء . وكانت حكومة القيصر قد رتبت حراسة مكشوفة وحراسة سرية حول مسكن راسبوتين ، وكانت التقارير عن حالة أمن راسبوتين تصل إلى البلاط الإمبراطورى كل يوم مسجلة أسماء زواره وأغلبهم من النساء ، كما كان أعداء

راسبوتين يحصلون على معلومات دقيقة عن حياة وتصرفات راسبوتين من خلال بعض الحراس الذين استطاع أعداء راسبوتين أن يستميلوهم ويحصلوا على ولائهم بمختلف أنواع التحايل والاستمالة .

وكان راسبوتين قد انغمس وأدمن الاتصال الجنسى بكثير من نساء الطبقة الأرستقراطية فى سان بطرسبرج على الرغم من أنه كان متزوجا وكان له ولدان وبنتان . مات أحد ولديه صغيرا ، ولم يستطع راسبوتين أن ينقذه من الموت ولا أن يعالجه من المرض .

وكان ابنه الآخر متخلفا عقليا ، ولم يستطع راسبوتين أن يعالجه من مرض التخلف العقلى . وبالرغم من ذلك كان كثير من الناس يؤمنون بقدرته على شفاء المرضى ؛ لأنه رجل دين زاهد ورع مبارك مملوء بالروح القدس .

وكان راسبوتين يغذى ويستغل هذه الخرافات المتصلة بزهده وورعه وبركاته . كان يغمس أصابع يديه فى إناء مملوء بالمربى ، وكان يطلب من النساء الجميلات المحيطات به أن يلعقن المربى من أطراف أصابعه وهو يحثهن على ذلك بقوله لهن : «العقنها نظيفة . العقنها ، إنها نظيفة» .

وكان راسبوتين يطالب النساء ألا يترددن فى الاستمتاع بالملذات الحسية كلها بما فى ذلك اللذة الجنسية ، وكان يوهمهن أن هذه هى الحياة الطبيعية للبشر قبل أن تفسِدَ الحضارةُ والمدنيَّةُ والشرائعُ السماوية هذه الحياة الطبيعية للناس .

وممارسة اللذة الجنسية بوجه خاص قد أوصت الأديان بعكس تلك الإباحية الجنسية ، التى كان راسبوتين يحاول تكريسها فى نفوس النساء الجميلات اللائى تكاثرن حوله وتعوَّدْنَ على زيارته فى مسكنه .

للحصول على اللذة الجنسية طريق مشروع حدده الله -سبحانه وتعالى -فى

إطار من الزواج الشرعى . وكل من يحصل على اللذة الجنسية فى الإطار الذى حدده الله للاتصال الجنسى بين الرجل المتزوج وزوجته لاغبار عليه ولا تأثيم له. ولكن الفوضى ومخالفة أوامر الله والنكوص عن الطريق الذى حدده الله لممارسة البشر للاتصال الجنسى خطأ وخيم العواقب إذ يهبط بالإنسان من مستوى البشر إلى مستوى الحيوانات ، وتضيع الأنساب بين الناس وينهار كل استقرار للأسرة ، وتتقطع وشائج الصلة بين الزوج وزوجته وبين الآباء والأبناء وتنتشر الأمراض ، ويغضب الله على أولئك الذين خالفوا تعاليم الله وتركوا الطريق الذى أوصى الله باتباعه إلى طريق الشيطان واتباع الأهواء والشهوات . ولكن راسبوتين كان يذيع بين عشيقاته ، وهن كثير ، تعاليم ومبادئ أخرى غير ما أمر به الله . كان راسبوتين يعظ خليلاته وزواره من النساء أن يقبلن على اقتناص لذة الاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج تمهيدا لممارسة الزنا والفسق مع كل منهن داخل مسكنه . وكان يلذ له أن ينال واحدة بعد أخرى دون الاكتفاء بامرأة واحدة .

وكان راسبوتين يلقى فى روع عشيقاته أن الاتصال الجنسى معه هو شخصيا بوجه خاص لا يعتبر خطيئة sin لأنه رجل مبارك مملوء بالروح القدس كما هو معروف ومشهور عنه بين الناس . ومحظوظة هى تلك التى تحظى بالاتصال الجنسى معه .

وكانت النسوة اللاتى حصلن على الاتصال الجنسى معه يبالغن فى وصف ما حصلت كل منهن عليه من لذة وسعادة علنا وصراحة فى مجلسه فى حضور كثير من الزائرات . وكانت زوجته تقول فى هذا الصدد : «إن عنده من الطاقة الجنسية ما يكفيهن جميعا.»

وكان راسبوتين يستغل ويوجه مواعظه الدينية نحو تشجيع الناس على الانغماس فى الخطايا وارتكاب الآثام ، ثم الاعتراف له بها ثم التوبة عنها متأثرا

فى ذلك بعقيدة الصلب والفداء المعروفة فى الديانة المسيحية التى تفترض أن كل كائن بشرى لابد أن يخطئ بالضرورة كما أخطأ سيدنا آدم الخطيئة الأصلية The Original Sin ، وظلت هذه الخطيئة الأصلية لاصقة بالبشر ، بنى آدم ، جيلا بعد جيلا حتى جاء المسيح وكفر عن خطايا البشر بسفك دمه وتعذيبه حتى الموت على الصليب . وإذا لم يرتكب الإنسان خطيئة ، وإذا لم يقترف الإنسان إثما طوال حياته ، فكيف سيحظى مثل هذا الإنسان بنعمة تكفير تضحية المسيح بنفسه وسفك دمه تكفيرا عن خطايا البشر ؟ ومن هنا ذاع وشاع ذلك المبدأ المخادع من مبادئ الخلاعة والتهتك والمجون الذى كان يهواه ويدعو إليه راسبوتين وهو المبدأ القائل : «إن الله لايقرب إليه المؤمنين الصالحين، بل يقرب الله إليه الخطاة الطالحين !»

كان راسبوتين يقول للنساء المحتشدات فى مجلسه العامر بالنساء وأفخر أنواع الأطعمة والفواكه والخمور : «نعم ، نعم ، ياعزيزاتى ، تعالين معى إلى سيبيريا. سنصطاد الأسماك ، وسنعمل فى الحقول ، وسنمارس الجنس على نحو تلقائى طبيعى .. وعندئذ ستتعلمن فى الحقيقة كيف تعرفن الله !»

كانت تعاليم راسبوتين الدينية مزيجا من اقتراف الحطايا والآثام ، ثم الاعتراف بها ، ثم التكفير عنها ليقبل الله توبة الخطاة الآثمين .

كان راسبوتين ، وقد حصل على الدعم والتأييد والمساندة من الإمبراطورة ، قد قابل أكبر رجال الدين ، ورئيس كنيسة سان بطرسبرج ، الأب «جون كرونستادت» ، وحصل على موافقته وموافقة سلطات الكنيسة على أنه رجل مبارك يعرف كيف يدعو إلى الله ، ويعرف كيف يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وصرحوا له – مع أنه ليس قسيسا محترفا – أن يتصرف باعتبار أنه من رجال الله المملوئين بالبركة وروح القدس ، وشجع رجال الدين فى سان بطرسبرج راسبوتين على أن يستغل بركاته وقدراته الخطابية وسحر هيئته وقوة بيانه فى طريق الله وفى سبيل الدعوة إلى الله .

ولم يلبث راسبوتين طويلا حتى تمادى فى غَيِّه وضلاله حتى زعم وزعم مريدوه أنه تجسيد جديد لله A Reincarnation of The Lord .

وكان راسبوتين يقول لمن يقع عليها اختياره للاتصال الجنسى معه قبل مواقعتها :«أنت تعتقدين أننى أعتدى على شرفك وأثلمه . إننى لا أعتدى على شرفك ولاأثلم شرفك . إننى فى الحقيقة سأضع فى جسدك البركة . سأضع البركة داخل جسدك . سأحقق لك الطهارة والنقاء من الإثم !» كان راسبوتين يطلق على السرير فى حجرة نومه «قدس الأقداس» .

وكان رجال الشرطة السرية حول مسكن راسبوتين الذين كان بعضهم يتسلل داخل مسكنه أيضا . وكان بعضهم من النساء أيضا .. يكتبون فى تقاريرهم كثيرا من الحقائق العجيبة المدهشة المشينة مثل الملاحظات الآتية :

* آناستاسيا شابوڤالينكوڤا ، زوجة طبيب ، أهدت إلى راسبوتين سجادة إيرانية غالية الثمن تعبيرا عن إعجابها به وولائها له .

* زوجة عقيد ، ذهبت إليه حتى لايتم نقل زوجها من سان بطرسبرج إلى جهه عمل نائية . طلب منها راسبوتين أن تخلع ثيابها داخل حجرة نومه، وأخذ يتحسس وجهها وصدرها وطلب منها أن تقبل بشفتيها شفتيه ولكنه لم يمارس معها الجنس وقال لها : إنه ليس مَسروراً منها ، وأمرها أن تعود إليه فى اليوم التالى» .

* زارت مدام ليخارت راسبوتين . طلب منها راسبوتين أن تقبل شفتيه . رفضت مدام ليخارت ذلك وانصرفت غاضبة .

* وصلت زوجة عضو مجلس الدوما«مامونتوف» إلى مسكن راسبوتين ، طلب منها راسبوتين أن تعود إلى زيارته فى الساعة الواحدة بعد الظهر .

* أثناء زيارة أسرة «بستلكورز» لمسكن راسبوتين ، طلب من الفتاة الجميلة«جريجوبوڤا» أن تقترب منه ، وقبلها، وأجلسها على ركبتيه.

* رجع راسبوتين إلى مسكنه ، وسأل ما إذ كان عنده زوار. وعندما علم أن عنده سيدتين ، سأل قائلا:«هل هما جميلتان ؟ هل هما جميلتان جدا؟» ثم تمتم قائلا: «أنا أحب الجميلات!»

* عاد راسبوتين إلى مسكنه غير مخمور . ثم غادر مسكنه مرة أخرى ثم عاد إليه فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو مخمور تماما .

* «ماريا جيل» زوجة ضابط برتبة نقيب فى الفرقة الخامسة عشرة ، نامت مع راسبوتين فى حجرة نومه .

* عاد راسبوتين إلى مسكنه ، وفى صحبته امرأة حسناء اسمها «ڤارڤاروڤا» فى الساعة التاسعة وخمسين دقيقة ليلا .

ومن الضروى أنه قد قضى ليلته معها ، إذ شوهدت وهى تغادر مسكنه فى الصباح .

* بعث راسبوتين امرأة البواب لتستدعى له خياطة حسناء اسمها «كاتيا» ، ولكن الخياطة الحسناء رفضت القدوم إلى مسكنه ، وبعد ذلك ذهب راسبوتين بنفسه إلى محل إقامتها وقال لها : «تعالى إلى مسكنى فى الأسبوع القادم وسأعطيك خمسين روبلا!» .

* بعث راسبوتين زوجة البواب إلى يوتبيا ، صديقة الخياطة كاتيا ، وطلب إليها أن تجعل كاتيا تزوره فى مسكنه . وعندما لم تنجح هذه الوساطة ، ذهب راسبوتين بنفسه إلى مسكن كاتيا . ومن الواضح أنها رفضت أن تسمح له بمجرد الدخول إلى مسكنها ؛ لأنه عاد إلى مسكنه بسرعة وطلب من زوجة البواب أن تقبل شفتيه . وهجم عليها ، ولكنها أفلتت منه وقرعت جرس الباب، فخرج أحد الخدم وجذب راسبوتين الذى كان مخمورا إلى داخل المسكن ووضعه فى الفراش .

هذه مجرد مجموعة من التصرفات الشاذة فى مسلك راسبوتين مما تضمنته تقارير الحراسة المعينة للحفاظ على سلامته ، إذ إن حياته مهمة للحفاظ على حياة الأمير «أليكسى» ولى العهد المريض .

وانقسمت الآراء حول راسبوتين . أناس اغتروا به وبقداسته وحلول روح القدس والبركة فيه وحاولوا الاستفادة من نفوذه فى البلاط لدى قيصرة روسيا وزوجها إذ كانت بطاقة تحمل اسمه وتحدد مطلبه مشفوعا بعبارة :«افعل هذا من أجل راسبوتين » يذعن لها أى مسئول فى أى موقع من مواقع السلطة . وأناس كانوا يعتبرون أن راسبوتين شخص جاهل فاسق متسلط على البلاط القيصرى ليزيده فسادا على فساده . وراحت الإشاعات حول مدى تدخل راسبوتين فى السياسة الخارجية لروسيا ذاتها ، وعُرِفَ عن راسبوتين أنه كان ينصح القيصر بعدم دخول روسيا الحرب العالمية الأولى. وعندما تعثرت الجيوش الروسية فى هذه الحرب كان راسبوتين ينصح بسرعة انسحاب روسيا من هذه الحرب مما جعل الناس يعتقدون أن راسبوتين كان عميلا لأعداء روسيا ، وكان عضوا فى جماعة سرية تعمل لمصلحة الدول الأجنبية ضد مصالح روسيا . إلى هذا الحد بلغت خطورة راسبوتين ، وتعارضت بشأنه آراء الناس.

هل كان راسبوتين قديسا أم شريرا ؟ saint or sinner كَوْنُ راسبوتين فلاحا روسيا شريرا فاسدا فاسقا بربريا لم يحظ بأى تعليم دنيوى أو دينى راق حقيقة لا مراء فيها ، أما أن يكون راسبوتين قديسا مباركا مملوءا بالروح القدس فهو خرافة شاعت بين الناس فى عصره بطريقة دجماطيقية ساذجة .

الدجماطيقا Dogma آفة من آفات التفكير لدى كثير من الشعوب . والأفكار التى يؤمن بها الناس بطريقة دجماطيقية تسمى Dogmas والطريقة الدجماطيقية فى التفكير تسمى Dogmatic way of thinking فما هى هذه الطريقة الدجماطيقية فى التفكير ؟

الطريقة الدجماطيقية فى التفكير هى أن يتقبل الناس معتقدات معينة دون تمحيص عقلى كاف ودون دليل كاف يدل على صحة هذه المعتقدات التى يقبل بها بعض الناس دون نقد أو مناقشة من أى نوع على الإطلاق .

والعقائد المسيحية فى مجملها تعتمد على هذه الطريقة الدجماطيقية فى التفكير ، إذ تعتمد العقائد المسيحية على مبدأ شهير هو :«آمن أولا لتفهم ثانيا» وإذا كان الإنسان سيؤمن أولا بمعتقدات معينة فما حاجته إلى الفهم بعد أن قد آمن ؟

يقولون إن بولس رسول . لماذا يعتبر بولس رسولا من رسل الله ؟ يعتمدون فى ذلك على ادعاء ، مجرد ادعاء بولس بأنه كان مسافرا فى الطريق إلى دمشق وسمع صوتا يقول له : «شاول ، شاول ، لماذا تضطهدنى ؟» ما الذى يدل على صدق رواية بولس الذى كان يهوديا اسمه شاول وكان يبالغ فى اضطهاد المسيحيين باستعداء السلطات الرومانية ضدهم ؟ لا شيء إلا ما يدعيه شاول فى هذا الصدد .

ويقولون : إن الله هو المسيح . ماذا يدل على ذلك ؟ هل قال الله ذلك ؟ لا . هل قال المسيح ذلك ؟ لا . ويقولون : إن الله مكون من ثلاثة أقانيم هى الآب والابن والروح القدس ولا دليل على الانقسام فى الذات الإلهية إلى هذه الأقانيم ، والأدلة على فساد هذا الزعم موجودة وأبسطها أن الذات الإلهية لا يعقل ، ويستحيل أن تقبل الانقسام ، وأن الجزء يستحيل أن يطلق على الكل ، وأن الابن فى هذا الزعم كان موجودا على الأرض بين الناس يمشى ويأكل ويشرب ويخرج فضلات الطعام والشراب طوال عشرات السنين ، فكيف يكون أقنوما من الأقانيم الداخلة فى تكوين الله ؟ وكيف يكون إلها ؟ إنهم أحرار بطبيعة الحال، ولكن الناس أيضا أحرار فى أن يرفضوا مثل هذه المعتقدات . ومن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر كما يوصى بذلك القرآن الكريم صراحة دون أى مواربة .

ويحاول بعض الناس أن يعمدوا إلى المغالطة عندما يقولون : الأديان كلها والإيمان بالرسل يعتمد على هذه الطريقة الدجماطيقية فى التفكير . ولكن هذه مغالطة خطيرة يلزم دحضها وإيضاح وجه المغالطة فيها .

يقولون : أنتم تؤمنون برسالة سيدنا نوح وسيدنا موسى وبمعجزات سيدنا عيسى ، وتؤمنون أن نبى الإسلام ﷺ قد أسرى به الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه قد عرج به إلى السماء أيضا ، ويزعمون أننا نقبل ذلك بنفس الطريقة الدجماطيقية فى التفكير التى نعيبها ولا نرضى بها مطالبين بالأدلة على صحة المعتقدات والأفكار ومطالبين بالمناقشة والتدقيق والتمحيص فى قبول المعتقدات .

هل الطريقة الدجماطيقية حرام علينا حلال عليكم ؟

والرد على ذلك حاسم واضح كل الحسم والوضوح : النبوة اختيار من الله لا البشر ولا يستطيع شخص أى شخص أن يزعم لنفسه أو يزعم له غيره أنه نبى من أنبياء الله أو رسول من رسل الله – عليهم السلام – ويُطلب من الناس أن يصدقوا ويؤمنوا بنبوة هذا النبى أو رسالة هذا الرسول أو ذاك دون دليل ، وما كان الله –سبحانه وتعالى– ليدع أنبياءه ورسله – عليهم السلام – يواجهون الناس دون أن يدعم كل نبى وكل رسول صادق النبوة والرسالة بدليل أو أدلة تثبت للناس صحة نبوة هذا النبى أو صدق رسالة ذلك الرسول من رسل الله عليهم السلام .

لم يَدَعْ اللهُ سيدنا صالحا – عليه السلام – يواجه قومه بأنه نبى يدعوهم إلى عبادة الله دون دليل . أمَدَّ الله سيدنا صالحا – عليه السلام – بمعجزة «الناقة» يكفى لبنها أن يشرب منه قوم سيدنا صالح جميعا لو تركوا لها ماء البئر تشربه يوما ، ويشرب منه الناس يوما آخر . وقصة سيدنا صالح والناقة وقوم سيدنا صالح –عليه السلام– معروفة ذكرها الله –سبحانه وتعالى– فى القرآن الكريم .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أيضا لم يدَع اللهُ سيدنا موسى -عليه السلام - يواجه فرعون وقوم فرعون وبنى إسرائيل بأنه نبى مرسل من الله -سبحانه وتعالى- دون دليل يثبت صدق نبوته ورسالته ، وهو ما حار فرعون وقومه وعجز فرعون وقومه عن دحضه إذ أيده الله بمعجزة العصا وبمعجزات أخرى ذكرها القرآن الكريم واعترفت بها المسيحية واعترف بها الإسلام .

ولم يَدعْ اللهُ سيدنا عيسى عليه السلام يواجه قومه من اليهود من بنى إسرائيل دون أن يؤيده بكثير من المعجزات المعروفة التى ورد ذكرها أيضا فى القرآن الكريم ، وكأنما القرآن الكريم قد حوى وضم وجمع فى غضون نصوصه كل قصص وأخبار ومعجزات السابقين وجعلها ذخيرة إيمان ودليل صدق على نبوة الأنبياء المرسلين .

ولم يَدعْ الله - سبحانه وتعالى - نبى الإسلام ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمداً بن عبد الله - ﷺ - دون معجزة أو دليل يدل على صدق نبوته ورسالته وعلى أنه بصدق وحق هو خاتم الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- إذ أيده الله بالقرآن الكريم معجزة المعجزات الخالدة .

كان كل نبى وكل رسول من رسل الله قبل سيدنا محمد - ﷺ - مرسلا إلى قومه فقط وليس إلى كل الناس فى كل زمان وفى كل مكان . وكانت المعجزة الحسية ، تكفى دليلا على صدق نبوة هذا النبى أو ذاك الرسول ليؤمن قومه به وبدعوته إياهم أن يعبدوا الله وحده لاشريك له وأن يتبعوا أوامره وأن ينتهوا بنواهيه . والمعجزة الحسية تكفى لتحقيق هذا الهدف لكل من يشهد المعجزة الحسية ،ولكل من يسمع بها من مصادر موثوقة لديه . وعلى الرغم من ذلك كفر كثير من العصاة وكذبوا الأنبياء والرسل رغم مشاهدتهم للمعجزات لأسباب دنيوية محضة ، وشككوا فى دلالة المعجزات التى أجراها الله بقدرته على أيدى الأنبياء والمرسلين .

وعندما شاهد فرعون سيدنا موسى يضع يده فى جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء لم يصبها أى نوع من أنواع مرض البرص ، وعندما شاهد عصا سيدنا موسى وقد تحولت إلى حية تسعى ، قال فرعون هذا سحر ساحر ، وليست هذه معجزة إلهية تدل على صحة نبوة وصدق رسالة سيدنا موسى – عليه السلام– . وجمع فرعون كل سحار عليم فى مملكته ليواجه ما ظنه سحرَ ساحر . وعندما فشل سحر السحرة أمام معجزة سيدنا موسى – عليه السلام – وأسرع السحرة مندفعين إلى الإيمان بصدق نبوة سيدنا موسى ، احتال فرعون أيضا لكى يستمر فى عناده ، وعاب على السحرة أنهم قد آمنوا بصدق نبوة سيدنا موسى دون أن يأذن لهم .

وكانت معجزة سيدنا محمد –ﷺ– ، ولأنه خاتم الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام – من نوع آخر . إن سيدنا محمد – ﷺ– لم يرسل إلى قوم دون قوم ولم يرسل إلى جيل دون جيل ، ولكن سيدنا محمدا – ﷺ – وهو خاتم الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – ، ولن يأتى نبى من أنبياء الله بحق وصدق أو رسول من رسل الله بحق وصدق بعد سيدنا محمد –ﷺ– ، ولذلك كانت معجزة سيدنا محمد –ﷺ– من نوع آخر غير المعجزات الحسية . كانت معجزة سيدنا محمد –ﷺ– معجزة عقلية . كانت معجزة سيدنا محمد –ﷺ – كتابا سماويا . كانت معجزة سيدنا محمد –ﷺ– هى القرآن الكريم . والقرآن الكريم ليس مجرد معجزة يشاهده ويلمسه الناس فى مكان معين فى زمان معين ثم تنطوى صفحة المعجزة ويكون من لم يشهد المعجزة فى حل من أن تلزمه دلالتها ، ولكن القرآن الكريم يمتاز عن المعجزات الحسية التى أجراها الله –سبحانه وتعالى– بقدرته على يد أنبياء ورسل سابقين ـ يمتاز بأنه معجزة عقلية وحسية خالدة . يمكن رؤية وسماع وقراءة القرآن الكريم فى كل مكان وفى كل زمان ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، على توالى القرون، وتتابع

الأجيال فى كل مكان وفى كل زمان ، ومعجزة القرآن الكريم تحوى كل عقائد الإسلام وشرائعه بينما لا تحوى المعجزات الحسية التى أجراها الله – سبحانه وتعالى – بقدرته على يد أنبيائه السابقين على شيء من تفاصيل العقيدة أو الشريعة . إن المعجزات الحسية تدل على صدق النبوة والرسالة الإلهية، ولا شيء غير ذلك ، ولكن امتازت معجزة القرآن الكريم فضلا عن خلودها على مر الزمان وعمومها فى كل مكان بأنها تحوى وتتضمن مبادئ العقيدة الصحيحة وأسس الشريعة الإلهية كما أرادها الله للبشر فى دينهم ودنياهم فى كل مكان إلى آخر الزمان . ولقد تضمن القرآن الكريم فى نصوصه أيضا إحصاء دقيقا صحيحا لكل معجزات الأنبياء السابقين وجعلها ذخيرة إيمان للمسلمين عندما يتأكدون من دلالة هذه المعجزات ، ومن قصص أولئك الرسل والأنبياء ليزدادوا إيمانا فوق إيمانهم .

ولكل هذه الأسباب لم يعتمد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فى إثبات صدق نبوته ورسالته على أى معجزة حسية ، وإن كان الله قد أجرى على يدى سيدنا محمد ﷺ كثيرا من المعجزات الحسية المعروفة ، ولكنه ﷺ اعتمد فى إثبات صدق نبوته ورسالته على معجزة القرآن الكريم .

وعندما تدل معجزات الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام – على صدق نبوة ورسالة هذا النبى أو ذاك الرسول لا يكون ما يؤمن به أتباعه قد قبلوه على أساس دجماطيقى دون مناقشة أو دليل أو تمحيص .

وعندما نؤمن – نحن المسلمين– أن الله قد أسرى بسيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعُرِجَ به إلى السماء ، فنحن لانؤمن بهذين الخبرين بطريقة دجماطيقية . لقد آمنا وصدقنا أولا وقبل كل شيء بأن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم أنبياء الله ورسله –عليهم السلام– ، فمن الطبيعى إذن أن نؤمن بكل ما يقوله لنا لأنه نبى مرسل صادق أمين .

وهذا بالضبط هو ما سجله فى صفحة من أروع صفحات التاريخ الإسلامى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عندما هرع إليه كفار مكة وهم يحسبون أنهم قد وجدوا فرصتهم لكى يحملوا واحدا من أكبر وأهم شخصيات المؤمنين برسالة ونبوة سيدنا محمد ﷺ على الشك فى رسالته ونبوته لكى ينبذ دين الإسلام ويعود إلى المشركين .

وقال المشركون لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه :«هل لك يا أبا بكر فى صاحبك (محمد) ؟ إنه يزعم أنه قد جاء الليلة من بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة فى ليلة واحدة» . فقال لهم أبو بكر فى بادئ الأمر :«إنكم تكذبون عليه» . فقالوا له : «نحن لانكذب عليه . ها هو ذاك صاحبك فى المسجد يحدث الناس بذلك» . فقال لهم أبو بكر : «والله لئن كان قد قال فقد صدق . ما لكم تعجبون من ذلك والله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .» ثم أقبل أبو بكر يمشى نحو مجلس رسول الله ﷺ حتى وصل إليه فقال أبو بكر : «يانبى الله ، يقول هؤلاء القوم : إنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : «**نعم**» . قال أبو بكر : «يانبى الله ، فصفه لى فإننى قد جئته» . وشرع رسول الله فى وصف بيت المقدس ، وأبو بكر يقول له كلما وصف له شيئا من بيت المقدس :«صدقت ، أشهد أنك رسول الله» حتى إذا انتهى رسول الله ﷺ من ذكر أوصاف بيت المقدس قال أبو بكر الصديق مرة أخرى :«صدقت . أشهد أنك رسول الله» . فبها سمى الصديق (*) .

هل كان سيدنا أبو بكر الصديق قد قبل وصدق خبر الإسراء والمعراج بطريقة دجماطيقية ؟ لا . لقد اتجه شَكٌّ وتمحيص سيدنا أبى بكر الصديق إلى كلام المشركين فى إخبارهم هذا الخبر إليه ولم تتجه شكوكه إلى احتمال أن يكون رسول الله ﷺ – وحاشاه أن يكون كاذبا – فيما ينسبه أولئك المشركون إليه من

(*) للمزيد انظر دلائل النبوة للبيهقى فى قصة الإسراء . ٢/٣٥٤ – ٣٦٥ .

أقوال . لم يكن سيدنا أبو بكر الصديق غرًّا يقبَل أى كلام أو أى ادعاء دون بحث أو مناقشة أو تمحيص . اتهم من نقل إليه الخبر الغريب بالكذب فيما نقله إليه من خبر ، ولم يتهم رسول الله ﷺ بالكذب إطلاقا . فلما أكد له ناقل الخبر أنه صادق فيما نقل واستدل على ذلك بأن أبا بكر يستطيع أن يذهب إلى صاحبه رسول الله ﷺ وأن يراه وأن يسمعه وهو يقول للناس هذا الكلام ، قال أبو بكر لناقل الخبر : «والله لئن كان قد قال فقد صدق» .

لماذا قال سيدنا أبو بكر الصديق مقولة : «والله لئن كان قد قال فقد صدق» التى أصبحت مثلا للقبول بصدق أقوال الصادقين ؟ قال ذلك لأسباب منها كما قال سيدنا أبو بكر نفسه :«والله إنه ليخبرنى الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه» . هنا استعمل سيدنا أبو بكر القياس العقلى . يعجب كفار قريش من أن سيدنا محمد ﷺ قد أسرى به الله إلى بيت المقدس وصلى فيه ثم عاد إلى مكة فى ليلة واحدة بينما هم قد دأبوا على أن يضربوا إليه أكباد الإبل شهرا فى الذهاب وشهرا فى الإياب ، فكيف يقول محمد ﷺ إنه قد سافر إلى بيت المقدس ذهابا وإيابا فى ليلة واحدة ؟ هذا فى نظرهم كذب لا سبيل إلى أن يصدق به أحد . ولكن سيدنا أبا بكر الصديق صدَّق هذا الخبر ، لا بطريقة دجماطيقية تلغى العقل وتمنع التمحيص وتحظر المناقشة ، ولكن بطريقة عقلية تعتمد على القياس العقلى المنطقى . قارَنَ سيدنا أبو بكر الصديق بين المسافة من مكة إلى بيت المقدس والمسافة من الأرض إلى السماء . وأعلن لكفار قريش قولته الشهيرة : «والله لئن كان قد قال فقد صدق» ثم قدَّم الدليل العقلى الذى يسوغ ويساند اعتقاده ذاك بصدق صاحبه وذلك بقوله : «والله إنه ليخبرنى الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدِّقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه» . والمسافة بين السماء والأرض أكبر – بدون أى جدال – عن المسافة بين مكة وبيت المقدس . وحجة سيدنا أبى بكر الصديق دليل كاف على صدق الخبر المنسوب إلى رسول الله ﷺ . قبل به وصدقه سيدنا أبو بكر بعد تمحيص وتدقيق وليس بطريقة دجماطيقية .

ويضاف إلى ذلك أن سيدنا أبا بكر الصديق يؤمن بصدق نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ ويؤمن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين لا على أسس دجماطيقية ، ولكن بدليل واضح لاسبيل إلى دحضه ، وهو القرآن الكريم الذى يعتبره كل مسلم دليلا على صدق نبوة ورسالة نبى الإسلام عليه السلام ، ويدل على ذلك أن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثل سوره ، أو بسورة واحدة مثل أى سورة من سور القرآن الكريم . واستنادا إلى ذلك يقبل المسلمون كل ما أخبرهم به رسول الله عن ربه ، وكل ما أخبرهم من أخبار الغيب التى أنبأه الله بها لا على أسس دجماطيقية ، ولكن بدليل خالد قائم أمام أعين كل الناس وسيظل خالدا قائما أمام أعين الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

الخطأ والعجب هو خطأ جماهير الناس الذين كانوا يعتقدون أن شخصا مثل راسبوتين رجل مملوء بالبركة ومملوء بروح القدس دون أى دليل يستند إليه مثل هذا الاعتقاد الدجماطيقى الساذج . وحتى لو افترضنا أن راسبوتين قد نجح فى علاج وشفاء بعض الحالات المرضية لما كان نجاحه ذاك دليلا على قداسته ، لأنه لو صح هذا الافتراض لصح أن أى طبيب يحقق الشفاء بوصف الدواء لحالة مرضية إنما هو نبى أو مملوء بالبركة أو مملوء بالروح القدس . ولم يكن راسبوتين بطبيعة الحال يستطيع أن يشفى كل الحالات المرضية التى كانت تصادفه بدليل أن ابنه قد مات صغيرا ولم يستطع راسبوتين أن يشفيه من المرض ، وبدليل أن ابنه الآخر كان يعيش أمام عينى راسبوتين وكان مريضا بضعف عقلى دون أن يستطيع راسبوتين أن يعرف له داء أو يشخص له دواء أو يملك له شفاء . ولكن ادعاء القداسة ، وادعاء حلول الروح القدس فى جسد أى شخص شائع بكل يسر وسهولة فى الدول الأوربية ، ولقد كان كبار رجال الدين يوافقون على كل مزاعم راسبوتين ويروجون للآراء القائلة بأنه رجل مبارك مملوء بروح القدس واعتبروه زميلا لهم له من المزايا الربانية ما لم يتح لهم ، وكان راسبوتين يحتل رسميا درجة قديس من القديسين فى عرف واعتبار الكنيسة الرسمية الأورثوذكسية الروسية . وعندما وجّه أحد قساوسة هذه الكنيسة واسمه هو «أليدور» طلباً ضد راسبوتين لعزله وتجريده من ادعاء القداسة نظرا لممارساته

الجنسية الفاضحة التى ذاعت أخبارها بين الناس ، وكانت النتيجة هى أن جردت الكنيسة الراهب «أليدور» من درجته الدينية وطردته من سلك القساوسة وحرمته من بركة الكنيسة ، وظلت الكنيسة الروسية الأورثوذكسية تعتبر راسبوتين من رجال الدين المسيحى ذوى المقام الرفيع إذ كانت تعتبره قديسا حتى تم اغتياله ، وقامت بعد اغتياله ببضعة شهور الثورة الشيوعية البلشفية ليتخذ زعماؤها من فضائح راسبوتين دليلا حاسما على فساد الدنيا وفساد الدين فى روسيا فى العهد القيصرى قبل قيام الثورة الشيوعية البلشفية لينتقل الشعب الروسى من أغلال الفقر والبؤس والشقاء فى عهد الرأسمالية القيصرية الظالمة إلى أغلال أشد وطأة وإحكاما وقسوة فى عهد الشيوعية التى أخذت كل أموال الأغنياء والفقراء لينعم بها – فحسب – أساطين وقادة الحزب الشيوعى وحدهم وليعانى الشعب الروسى كله – أغنياء وفقراء – من متاعب العمل فى الأرض المملوكة للدولة وفى المصانع المملوكة للدولة فى قيود أشد وطأة وقسوة وظلما من قيود الرأسمالية الروسية القيصرية . وكان من الطبيعى أن تنهار الشيوعية أيضا كما هو معروف .